

فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله

يقدم

من سلسلة "خط الزمن"

الحلقة (25) "ترك حصار صور وعودة شوكة الصليبيين"

(باللهجة المصرية)



لفضيلة الدكتور: راغب السرجاني

رابط المادة: <http://way2allah.com/khotab-item-23007.htm>

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم.

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد، فأهلاً ومرحباً بكم في هذا اللقاء المبارك، وأسأل الله -عز وجل- أن يجعل هذه اللحظات في ميزان حسناتنا أجمعين.

مع الحلقة الخامسة والعشرون من برنامج "خط الزمن"

وما زلنا مع قصة فلسطين، في الحلقة اللي فاتت شفنا الجهد العظيم اللي عمله صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله-، وكيف حرر فلسطين بكاملها، شفنا آثار موقعة حطين، شفنا فتح معظم الساحل الفلسطيني، أو كل الساحل الفلسطيني تقريباً ماعدا قلعة أو قلعتين، واستطاع طبعاً تحرير مدينة القدس المباركة، واستطاع أن يحقق إنجازات فعلاً سُطرت في التاريخ بدماء المسلمين، وبجهود المسلمين، ويعرق المسلمين، وهي من أعظم الانتصارات في تاريخ الأمة الإسلامية.

وقلنا أنه حط في اعتباراته أنه يسقط مملكة بيت المقدس بكاملها، واحنا عارفين مملكة بيت المقدس لم تقف حدودها عند فلسطين فقط، بل أخذت أيضاً نصف لبنان، واتجه بجيوشه إلى لبنان، وحرر بيروت، وحرر صيدا، وحرر بعض المناطق الأخرى في لبنان، كذلك حرر الشوبك والكرك ودول موجودين دلوقتي في الأردن، يعني كان مترصد لكل بقايا مملكة بيت المقدس. لكن الحقيقة إذا كنا في الحلقة اللي فاتت تعرضنا لمواقف كثيرة سعيدة في تاريخ الأمة الإسلامية، فالحلقات دي -للأسف الشديد- هنتعرض لأزمات كثيرة مرت بالأمة الإسلامية في زمان صلاح الدين الأيوبي، وبعد زمانه -رحمه الله-.

أخطاء وقع فيها البطل صلاح الدين رغم عظم قدره

بنقول أن صلاح الدين الأيوبي في كل هذه الفتوحات العظيمة حقق إنجازات هائلة، لكنه كعامة البشر لا بد أن يقع في أخطاء، ونحن لا نقول أننا نخطيء، أو أننا نستطيع أن نرتقي إلى مستوى صلاح الدين الأيوبي حتى نعرض على أفعاله أو أقواله، ولكن التاريخ هو الذي فعل ذلك، والآراء التي أخذت في بعض المواقف وانتقدتها المؤرخون

بشكلٍ عام، ورأينا الآثار السلبية لمثل هذه القرارات، واحنا قلنا قبل كذا أن صور أحد المدن اللبنانية التابعة لمملكة قدره وجلالة مكانته- بعض الأخطاء البسيطة، لكن كان لها آثار ضخمة وكبيرة.

1. ترك مدينة صور بلا فتح

منها على سبيل المثال أنه ترك مدينة صور بلا فتح، واحنا قلنا قبل كذا أن صور أحد المدن اللبنانية التابعة لمملكة بيت المقدس، وهرب إليها الكثير من الصليبيين، وعندما سُحق الصليبيون في حطين، أسرع الصليبيون من كل المدن الساحلية في فلسطين وفي غيرها بالتوجه إلى مدينة صور، وحاصر صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله- صوراً فعلاً، ولكن الجيش الذي معه لم يصبر على هذا الحصار، وطلب أن يستريح وأن يرفع الحصار عن مدينة صور، وخاصة أن الحصار كان يتم في فصل الشتاء، وكان الجو باردًا جدًا، فقبل صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله- على مضض.

الآثار التي ترتبت على ذلك

وما كان له أن يقبل حقيقة؛ لأن معظم القوة الصليبية كانت موجودة في منطقة صور، وكان شوية نتعب أكثر وشوية نجاهد أكثر ونخلص خالص من قصة مملكة بيت المقدس ونقل الملف كله، لكن اللي حصل أنها اتسابت، ودا كان موطن لنشأة جديدة للصليبيين في أرض فلسطين وفي أرض الشام.

نفس الموقف حدث قبل ذلك في الأندلس

وعلى فكرة اللي بيراجع التاريخ هيلقي نفس الموقف حصل في الأندلس قبل كذا، وترك المسلمون مكانًا صغيرًا جدًا في الأندلس دون فتح - كان اسمه الصخرة - ومن هذه الصخرة سقطت الأندلس بعد ذلك، من هذه المنطقة سقطت الأندلس، كذلك صلاح الدين طبعًا أعلن بعد كذا عن ندمه على أنه لم يستمر في حصار صور، لكن خلاص كان فعلاً الصليبيون تجمعوا من كل مكان في مدينة صور، ووصلت أعدادهم إلى الآلاف.

إحنا عاوزين بس نقول: الناس اللي طلعت -الفرسان- من القدس دون قتل أو دون إصابة من المسلمين كانوا 60 ألف، فتخيل بقى لما يجمع كل الصليبيين المحاربين في أرسوف وفي يافا وفي عكا وفي حيفا وفي غيرها من مدن فلسطين المباركة، كل دول راحوا لصور، فطبعًا كانت أزمة كبيرة.

2. إطلاق سراح جاي لوزينان

الخطأ الثاني اللي وقع فيه صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله-، هو إطلاق جاي لوزينان -اللي هو ملك بيت المقدس- بعد 8 شهور تقريبًا من أسره في بيت المقدس، في أحداث حطين أسر، فقعد مأسور 8 شهور، ثم اتفق معه صلاح الدين على أن يطلق سراحه في نظير أن يذهب إلى فرنسا، لكن طبعًا صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله-

عنده خبرة كبيرة بالصليبيين ويعرف أنهم يخونون العهود، و أن دا شيء متكرر في حياتهم، فما كان له أبداً أن يثق في كلمات جاي لوزينان، وخاصة وأن هناك جيوش ضخمة زي ما قلنا متجمعة في صور.

الآثار المترتبة على ذلك

واللي حصل بالفعل أن جاي لوزينان خان الاتفاقية، ورجع لمدينة صور، ولم يذهب إلى فرنسا، ومن مدينة صور أخذ الجيوش المتجمعة هناك وبدأ يقاتل صلاح الدين الأيوبي من جديد، وخرج في منتصف رجب سنة 585 هـ يعني بعد تقريباً سنتين من فتح بيت المقدس، وبعد سنتين وشهرين من موقعة حطين العظمى، خرج بجيوشه الصليبية إلى مدينة عكا الفلسطينية، مدينة عكا قريبة جداً من مدينة صور، أقل من 50 كم في شمال فلسطين، فخرج إليها.

تحرك صلاح الدين لإنقاذ عكا

طبعاً صلاح الدين الأيوبي شاف هذا الموضوع، وغضب جداً من خيانة جاي لوزينان، لكن بعد إيه، بسرعة راح علشان ينقذ عكا -رحمه الله-، فخذ الجيوش وانطلق إلى مدينة عكا، وأرسل جيش كبير مقدمة لجيشه ليصل إلى عكا قبل أن يصل إليها الجيش الصليبي، وبالفعل وصل إليها الجيش المسلم، ودخل عكا وسيطر على المحاور في داخل عكا، لكن وصل الجيش الصليبي قبل أن تصل القوة الرئيسية لجيش صلاح الدين الأيوبي.

حصار الصليبيين لعكا من أطرافها الأربعة

وهذا الجيش الصليبي حاصر عكا من أطرافها الأربعة، ويقول أطرافها الأربعة؛ لأن عكا مدينة ساحلية ففي 3 أطراف على البر، والطرف الرابع البحر كانت فيه سفن صليبية حاصرت البحر، فأصبح الحصار محكماً على عكا، وفي داخلها المسلمون، انقلبت الآية كنا من سنتين بنحاصر عكا في زمان صلاح الدين في أول انتصاراتنا بعد موقعة حطين، حاصرنا عكا وكان جواها الصليبيون، ثم سقطت عكا بفضل الله -عز وجل-، وأخذ المسلمون غنائم لا تُحصى وكان انتصار مجيد، دلوقتي الصليبيون هم الذين يحاصرون مدينة عكا، وطال الحصار على المسلمين.

تسليم عكا للجيش الصليبي

طبعاً صلاح الدين -رحمه الله- جايب الجيش بتاعه وحاول أن ينقذ عكا من هذا الحصار، لكن الحقيقة لم يستطع لقوة الجيوش الصليبية وكثرة أعداد الجيوش الصليبية في هذه المنطقة، واضطر رئيس الحامية في عكا -رئيس الحامية مسلم كان اسمه سيف الدين المشطوب- اضطر إلى أن يعقد اتفاقية مع الجيش الصليبي، الكلام دا بعد قد إيه؟ الكلام ده بعد سنتين كاملتين من الحصار، طبعاً موقف كان صعب جداً.

الحملة الصليبية الثالثة

أنا عايز أقول إن في قضية خطيرة جدًا حصلت نتيجة هذا الوضع، اللي هو وجود مجموعة من الصليبيين في مدينة صور، ووجود جاي لوزينان، ووجود الحماية لإعادة مملكة بيت المقدس من جديد، حاجة خطيرة جدًا وهي استنفار أوروبا لنجدة الصليبيين في بيت المقدس، وهذا هو الاستنفار الثالث الكبير.

طبعا في استنفارات كثيرة في التاريخ مرت بنا صغيرة، لكن في 3 استنفارات كبرى:-

- الاستنفار الأول اللي بنسميه: الحملة الصليبية الأولى

ودي بداية احتلال العالم الإسلامي، وقلنا إن دي كانت حملة ناجحة جدًا استطاعت أن تؤسس 4 ممالك في داخل البلاد الإسلامية.

- الحملة الثانية:

التي استنفرت بعد سقوط الرها، ودي اللي استقبلها نور الدين محمود، واستطاع أن يردّها بكاملها، وزُدت خاسرة، لم تحقق أي نوع من النتائج.

- وهذه هي الحملة الصليبية الثالثة:

تُجهز من أوروبا لنجدة الصليبيين في منطقة عكا وفي منطقة صور، وجاء على رأس هذه الحملة جيوش ضخمة جدًا، أذكر منها جيش مملكة النمسا وألمانيا، كانوا مملكة واحدة، وكان على رأسها واحد اسمه فريديريك بربروس، وكان من أكبر أمراء وملوك أوروبا، وواحد تاني مشهور جدًا جدًا في التاريخ وهو ريتشارد الملقب بقلب الأسد ملك إنجلترا، وفيليب أوجست ملك فرنسا، يعني حملة الملوك والأمراء، كل قائد جيش ملك أو أمير، طبعا دي من أقوى الحملات الصليبية مطلقًا.

موت قائد الجيش النمساوي وما ترتب على ذلك

الجيش الألماني فقط -الألماني النمساوي- كان قوامه 200 ألف مقاتل، طبعا جيش رهيب، وخطير جدًا، وكان يفرض سيطرة كبيرة جدًا على قطاعات ضخمة من أوروبا، لكن سبحان الله ربنا -سبحانه وتعالى- سلم "وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ" المدثر:31، هذا الجيش اخترق منطقة آسيا الصغرى، وغرق فريديريك بربروس وهو يستحم في الماء، كان يستحم في أحد الأنهار غرق -سبحان الله- ومات.

وحصل انتكاسة كبيرة في الجيش النمساوي، وحصل فيه نوع من الصراع بين قواده وبين زعمائه.

تحقيق انتصار كبير على الجيش الألماني النمساوي

واستطاع المسلمون الموجودون في كل هذه المناطق في آسيا الصغرى، وفي منطقة الشام وفي غيرها، طبعا حماية حطين، وانتصارات حطين، وما تلاها من انتصارات كانت موجودة، فاستطاع المسلمون أن يحققوا انتصارات كثيرة على هذا الجيش الألماني النمساوي، ووصل إلى بيت المقدس أو وصل إلى منطقة عكا من هذا الجيش كم جندي؟

حسب الرواية النمساوية 5 آلاف جندي، يعني من 200 ألف جندي ألماني ونمساوي حوالي 195 ألف فنوا في الطريق ولم يبق إلا 5 آلاف فقط.

عقد حاكم عكا اتفاقية مع الصليبيين دون موافقة صلاح الدين

لكن المشكلة الكبرى كانت في الجيش الإنجليزي والجيش الفرنسي، وطبعًا دي كانت من أكبر الجيوش الأوروبية بصفة عامة، الجيوش دي كلها وصلت إلى ساحل عكا وحاصرت عكا من البحر ومن البر، وزى ما قلنا سيف الدين المشطوب مالفاش قدامه حل إلا أنه يعقد اتفاقية رغمًا عن أنف صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله-، يعني صلاح الدين ماكانش عايز هذه الاتفاقية، لكن تمت هذه الاتفاقية بدون علم صلاح الدين؛ لأن ماكانش في سهولة في الاتصالات بين الفريقين لوجود الجيش الصليبي محاصر مدينة عكا من كل الجوانب.

ما الذي ترتب على هذه الاتفاقية؟

وفي هذه الاتفاقية سلّم سيف الدين المشطوب المدينة بكاملها، وسلّم كل العدد والسلاح، بل وأقر أن يدفع 200 ألف دينار للصليبيين في نظير إطلاق الأسارى الذين سيأخذهم الصليبيون كرهن حتى تؤدى هذه الدية الكبيرة، طبعًا التسليم دا ماكانش على رغبة صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله-.

يا ترى هيكون رد فعله إيه؟ يا ترى إيه اللي هيعمله علشان إنقاذ بقية الأسرى اللي في أيدين الصليبيين؟ يا ترى رد فعل ريتشارد قلب الأسد وفيليب أوجست على هذا الموقف هيكون إيه؟ دا اللي هنعرفه إن شاء الله بعد الفاصل، فابقوا معنا.

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، كنا قبل الفاصل بنتكلم على موقف حصار عكا، وطبعًا حصار شديد جدًّا من البر ومن البحر، قوات صليبية هائلة، على رأس هذه القوات دلوقتى ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا، ومعه فيليب أوجست ملك فرنسا، ومعه طبعًا القوات الصليبية اللي كانت موجودة في مدينة صور بقيادة جاي لوزينان ملك بيت المقدس القديم،

وصلاح الدين الأيوبي كان محاصر القوات الصليبية اللي محاصرة مدينة عكا، واضطر سيف الدين المشطوب - اللي هو أمير عكا- أن يسلم المدينة إلى الصليبيين بعدة شروط، منها الاحتفاظ بمجموعة من الأسرى المسلمين إلى أن يتم دفع 200 ألف دينار دية لإنقاذ هؤلاء المسلمين.

ما الذي فعله صلاح الدين لينقذ بقية الأسرى المسلمين؟

-بدأ تجميع المبلغ المطلوب

صلاح الدين طبعًا لما عرف الكلام دا أنكروه بشدة لكن مقدرش يتصرف بدأ يجمع المبلغ المطلوب، وبالفعل مبلغ زي دا ضخم وكبير اضطر أنه يرأسل أكثر من مدينة في مملكته، وبدأ بالفعل جَمَع جزء ضخم من المبلغ، والباقي كان بيتجمع، وكان خايف جدًا صلاح الدين الأيوبي أنه يسلم هذه المبالغ إلى الصليبيين ولا يُطلق الصليبيون الأسارى؛ لأنه طبعًا متعود على خيانة اليهود من الصليبيين.

- طلب أن يكون هناك نوع من الرهن أو أن يحلف الداوئية

فطلب طلب يعتبر من الطلبات البسيطة جدًا والمنطقية جدًا أنه يحصل نوع من الرهن، يعني أن توضع هذه الأموال في جهة ثالثة وتكون محكمة بين الطرفين وأن تُسلم الأموال بعد تسليم الأسرى، أو أن يحلف الداوئية. من هم الداوئية؟

الداوئية دي فرقة من الفرق الشديدة جدًا العسكرية في داخل الجيش الصليبي، وكانت عندها تمسك كبير بالدين، وترى أن الحنث في اليمين أمر عظيم لا تأتيه، فقال خلاص الداوئية هذه تحلف أن انتوا هترجعوا الأسرى المسلمين إلى المسلمين، ويسلم الأموال.

رفض الداوئية الحلف وموقف صلاح الدين من ذلك

لكن رفضت الداوئية -تخيل- رفضت الداوئية أن تحلف؛ لأنها لا تثق بملوك الصليبيين، يعني حتى الفرقة العسكرية الداوئية النصرانية الموجودة في الجيش الصليبي لا تثق بيمين هؤلاء الملوك والأمراء الصليبيون. فتوقف صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله- عن دفع الأموال، ويشوف حل لهذا الموقف.

قتل ريتشارد قلب الأسد لـ 3 آلاف أسير مسلم

ريتشارد قلب الأسد لم ينتظر هذا التوقف وأخرج 3 آلاف أسير مسلم وقتلهم بالسيف أمام أعين المسلمين، طبعًا جريمة كبرى، ووصمة عار في جبين أوروبا بكاملها، وهو دا ريتشارد قلب الأسد اللي بتصوره وسائل الإعلام كثيرًا على أنه شخصية رحيمة، وشخصية دينية، وشخصية أتت لأهداف نبيلة وعليا.

ريتشارد قلب الأسد شخصية خائنة للعهد قاتلة للأسرى

طبعًا هو إنسان -زي ما انتو شايفين- خائن للعهد، قاتل للأسرى، مخالف للاتفاقيات، يعني إنسان عنده مخالفات كثيرة جدًا لا تُقبل أبدًا، وكل سيرته بعد كدا بتبقى عبارة عن محاولة إثبات الصيت والشهرة له بصرف النظر عن قضايا بيت المقدس، أو قضايا الصليبيين، أو قضايا المسيح، أو من أمور تشغل الدينيين كما يقولون.

موقف صلاح الدين بعد هذا الحادث الأليم

طبعًا كان موقف صعب جدًّا، هجم صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين بعد هذا الحادث الأليم، وتمت عدة معارك بينه وبين الصليبيين لكن لم يصل إلى نتيجة، طبعًا جيش صلاح الدين الأيوبي كان أصغر بكثير من جيوش الصليبيين المجتمعة، فوقفت الحروب، وانتهى الأمر في النهاية إلى وقوع مدينة يافا أيضًا في يد الصليبيين، ووقوع مدينة أرسوف، ووقوع مدينة عسقلان.

اضطرار صلاح الدين لعقد صلح الرملة مع الصليبيين

الحقيقة كانت أزمة كبيرة واضطر صلاح الدين -رحمه الله- في 21 شعبان سنة 588 هـ، يعني بعد حوالي سنة إلا عدة شهور من سقوط عكا إلى عقد صلح الرملة مع الجيوش الصليبية، وعقد بالفعل هذا الصلح.

من نتائج هذا الصلح:-

وكان من نتائج هذا الصلح والهدنة أن تُسلم مدينة يافا وقيسارية وأرسوف وحيفا وعكا إلى الصليبيين، وطبعًا المدن دي بالفعل كانت في أيدي الصليبيين، فأقرهم صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله- على أن تبقى هذه المدن في أيديهم، وتبقى مدن اللُد والرملة والناصرية في يد المسلمين، وذلك لمدة 3 سنوات و 3 شهور.

الشروط التي توافرت في هذه الهدنة لتكون شرعية

طبعًا يهنا جدًّا نقف وقفة مع هذه الهدنة، ونقول أن هذه الهدنة شرعية تمامًا بشروط، وهذه الشروط وفِّي بها صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله-.

الشرط الأول: عدم إقرار أعداء الله على امتلاك قطعة من أراضي المسلمين

والشرط الأول: أن تكون هذه الهدنة ليس فيها إقرار دائم للصليبيين أو لغيرهم من أعداء الأمة على امتلاك قطعة من أراضي المسلمين مهما صغرت هذه القطعة، صلاح الدين لم يقرهم على امتلاك هذه الأماكن أبدًا إلى آخر حياته، ولكنه أقر فقط لمدة 3 سنوات و 3 شهور.

الشرط الثاني: أن يكون هذا الامتلاك مؤقت

والحاجة الثانية أن تكون هذه المدة مؤقتة بميعاد معين زي ما قلنا.

الشرط الثالث: أن يمتلك الطرف المسلم القدرة على ردع طرف أعداء الأمة إن خالفوا المعاهدة

الحاجة الثالثة مهمة جدًّا: أن يمتلك الطرف المسلم القدرة على ردع الطرف الصليبي أو على ردع أعداء الأمة إن هم خالفوا المعاهدة؛ لأنه من المعتاد أن يخالفوا، وهذا ما كان يتمسك به صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله-.

وفاة البطل صلاح الدين الأيوبي

يبقى تم صلح الرملة واستقرت مملكة صغيرة لبيت المقدس جديدة، بدءاً من يافا ووصولاً إلى مدينة صور في لبنان، دا طبعاً نصف الساحل الشمالي الفلسطيني وجزء من الساحل الجنوبي للبنان، واستطاع صلاح الدين الأيوبي نشر جيشه في كل مدن فلسطين، وبعد صلح الرملة بستة شهور فقط آن للجسد المتعب -جسد صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله- أن يستريح، وتوفي -رحمه الله- في 27 صفر سنة 589 هـ، مات السيد الأجل والملك الناصر صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله-.

- وكانت صدمة ضخمة جداً للمسلمين

لعلها من أكبر الصدمات التي مرت بهم منذ انتهاء جيل الصحابة -رضي الله عنهم وأرضاهم-. الكارثة الكبيرة في موت صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله- لم تكن فقط بفقد زعيم من أعظم الزعماء في تاريخ الأمة الإسلامية، ولكن في الوضع الذي آلت إليه الأمة بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله-.

3. من الأخطاء التي حدثت: عدم استخلاف شخصية قوية مدربة على قيادة الأمة بعد وفاة صلاح الدين

ودا هيخيلنا نتطرق إلى خطأ أنا اعتبره بردو أحد الأخطاء التي ما كان ينبغي أن تتم وهو عدم استخلاف شخصية قوية مدربة على قيادة الأمة بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي، طبعاً الموت جه بشكل مفاجيء وصلاح الدين الأيوبي ماكانش لسة كمل 60 سنة، فلعل التوقعات ماكانتش كبيرة بأن يحدث الوفاة في هذا الوقت، لكن طبعاً "وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ" الأعراف:34، ممكن يموت في أي لحظة.

الآثار المترتبة على وفاة صلاح الدين الأيوبي:

- انفرط عقد الأمة الإسلامية بعد موت صلاح الدين

كان لازم يكون في خليفة قوي مدرب ومعرف لأساليب إدارة الأمة الإسلامية، ويتفق عليه الجميع حتى لا تحدث كوارث بعد موته، ودا اللي حصل للأسف الشديد، إنه بعد موت صلاح الدين الأيوبي انفرط عقد الأمة الإسلامية بشكل مبالغ فيه، يعني تصارع على الحكم بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي عدة قوى؛ 3 منهم من أولاده، يعني الأفضل والعزیز والظاهر، ثلاثة من أولاد صلاح الدين الأيوبي تصارعوا على الحكم،

واحد خد مصر، وواحد خد حلب وشرق سورية، وواحد خد دمشق وما حولها، ومع دمشق خد القدس، وواحد -أخو صلاح الدين العادل- خد منطقة الأردن بما فيها حصن الشوبك والكرك، وأخو صلاح الدين الثاني توران شاه أخذ اليمن والحجاز، يعني تفرق دم الأمة الإسلامية بين الإخوة والأعمام، طبعاً كان شيء قاسي جداً.

-حدوث صراعات ومنازعات بين القوى الحاكمة

وللأسف الشديد مش بس حصلت هذه الفرقة، لا، حصلت كمان صراعات ومنازعات بين هؤلاء، بين الإخوة وبين الأعمام، وكان هذه الصراعات في بعض الأحيان صراعات يموت فيها أعداد من المسلمين.

-موت كثير من القوى المجاهدة في هذه الصراعات

وخلي بالك الناس اللي بتموت دي كثير منها هو اللي انتصر في موقعة حطين، هو اللي انتصر في موقعة فتح بيت المقدس، وانتصر في تحرير معظم مدن فلسطين، دا شيء طبعًا بيخلينا نصاب بالدهشة. لكن نرجع تاني ونفتكر حديث الحبيب -صلى الله عليه وسلم- عندما كان يقول: "فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تُبْسَطَ عليكم الدنيا، كما بُسِطَ على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتلهيكم كما ألهتهم" صحيح البخاري.

هو دا اللي حصل ووقع فيه المسلمون

المسلمون طبعًا كانوا يمتلكون أماكن واسعة جدًا، مملكة صلاح الدين الأيوبي كانت تضم مصر، وتضم سوريا بكاملها، ولبنان، والأردن، وأجزاء من تركيا، وأجزاء من العراق، والحجاز بكاملها، واليمن، يعني مملكة واسعة جواها أكثر من سبع أو ثمان دول من عهدنا المعاصر، فعند وفاة صلاح الدين الأيوبي تنافس أبنائه وإخوانه على هذه الأملاك الواسعة، وحصل صراعات مخزية حقيقةً بين هؤلاء، وأزمة كبيرة مرت بها الأمة الإسلامية، ولولا لطف الله - عز وجل- بأن الصليبيين أصلًا كانوا في حالة ضعف لانفرط العقد تمامًا واحتلت الكثير من بلاد المسلمين.

استطاعة الملك العادل توحيد مملكة مصر والشام

أفضل هؤلاء المتصارعين كان العادل، اللي هو أخو صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله-، لم يكن على مستوى صلاح الدين الأيوبي لكنه كان أفضل هؤلاء، المهم أنه بعد 9 سنوات كاملة من الصراع بين المسلمين استطاع العادل أن يفرض سيطرته على الأمور، وأن يوحد من جديد مملكة مصر والشام وغيرها من الأماكن تحت سيطرة واحدة، ولكن للأسف في غضون هذه الفترة سقطت بيروت في يد الصليبيين.

قيام الحملة الصليبية الرابعة

طبعًا وجود مثل هذا الصراع بين الإخوة شجع أوروبا أنها بتبدي تجمع من جديد قوة علشان تحارب المسلمين، الكلام دا -زي ما قلنا- صلاح الدين مات سنة 589 هـ، وقعد العادل وأبناء صلاح الدين في صراع 9 سنوات لحد سنة 598 هـ إلى أن وُحِدَ العادل البلاد جميعها تحت قيادة واحدة، عندما توحدت البلاد الإسلامية تحت قيادة واحدة شعرت أوروبا بالخطر الشديد، وبالتالي بدأت تحمس الأوروبيين على القيام بحملة صليبية رابعة، لتقوم بالفعل الحملة الصليبية الرابعة في سنة 599 هـ ودا بيوافق 1202 م.

احتلال الحملة الصليبية الرابعة للقسطنطينية

لكن -سبحان الله- هذه الحملة الصليبية الرابعة انحرفت عن هدفها، كانت رايحة تحارب المسلمين في الشام وفي القدس وفي غيرها من بلاد المسلمين، واتجهت إلى القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية عندما رأت فيها شيئاً من الضعف، ومع أن دول نصارى ودول نصارى إلا أن الحملة الصليبية الرابعة نزلت على القسطنطينية واجتاحتها وقتلت الإمبراطور البيزنطي آنذاك، واستطاعت استعمار واحتلال مدينة القسطنطينية العتيقة، وفرضت هيمنتها على كل أملاك الدولة البيزنطية، وكانت هذه الحملة في معظمها من فرنسا، وظل الحكم الفرنسي للقسطنطينية ولأملاك الدولة البيزنطية 57 سنة متصلة إلى سنة 659 هـ.

وطبعاً مش هاقولكم على كم المذابح، وكم الاغتيالات، وكم السرقات، وكم الاغتصابات التي قام بها النصارى الكاثوليك الأوروبيون مع إخوانهم النصارى الأرثوذكس في القسطنطينية، ودي طبعاً علامة من علامات ضياع الدين تماماً من قضية الحروب الصليبية.

الخاتمة

يا ترى أوروبا هترضى بهذا الوضع؟ يا ترى مش هتقوم حملة ثانية لحرب المسلمين؟ يا ترى موقف العادل هيكون إيه في مصر والشام بعد توحيد الدولتين في دولة واحدة؟ دا ياذن الله اللي هنعرفه في الحلقة القادمة أسأل الله -عز وجل- أن يفقهنا في سننه، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله وتفضلوا هنا:

<http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36>